الفصل الثامن

الوسيلة الملائمة

الصداقة تختفي وتظهر مع طريقة ١٠ – ١٠ – ١٠

التقيت و"سو جاكوبسون " لأول مرة في أحد ملاعب التنس. كانت تعمل مديراً لرياضة الراكيت في كامب كلير ليك، كانت شخصية مرحة ومتواضعة، وكنت سأعمل معها " كمساعدة لها ".. لقد أحببنا بعضنا البعض كثيراً. ورغم ذلك، كان أي لقاء مرتب لنا معاً لم يتعد الدقائق الخمس لأننا كنا أثناء النهار نقوم بتسلية المخيمين بالمعسكر بلعب الخدع مع بعضنا البعض، ثم نقوم بإلقاء النكات أثناء حفلات السمر

في لحظة طيش صدمت أنا و"سو " بسيارتنا عصبة من الفتيات السليطات من الخلف وكن طالبات في المدرسة الثانوية المحلية. عندما خرجنا من السيارة لنعرب هن اعتذارنا لم يأبهن بلا اعتذار. بل أحطن بنا، وقالت لنا زعيمة المجموعة مستفسرة وهي تستند على وجه " سو " بوقاحة :

ثم أطلقت هي وصديقاتها ضحكات عالية وركبن السيارة وانطلقن بعيداً.

لم ننس هذا الموقف الغريب لفترة طويلة. وأما سؤال زعيمة عصابة الفتيات : "ما هي مشكلتك الغريبة ؟ " فقد أصبح " لازمة "[1] نتشدق بها طوال الوقت. بعد

[1] اللازمة : فقرة تتكرر في القصيدة – خاصة في القصيدة الغنائية – بعد كل مجموعة من الأبيات الشعرية (المترجم).

تخرجنا من الجامعة بعدة سنوات كنا لا نزال أصدقاء وعملنا أنا و" سو" في بوسطن. فعملت أنا بوكالة أسوشيتدبرس وعملت " سو " رئيسًا لهيئة العاملين الخاصة بزوجة حاكم الولاية " كيتي دوكاكيس ".

ولأننا كنا فتاتين طموحتين تعملان بنفس المهنة تقريبًا، فقد وجدنا أشياءً كثيرة يمكن أن تكون مادة غنية للحديث. ولكن كانت علاقتنا دائمًا تسودها البهجة والسرور والضحك حتى بعد تزوجت، وأما "سو" فقد ارتبطت بصديق مخلص لها. وفوق ذلك، كنا خلال العديد من العطلات الأسبوعية نسترق لحظات نقود فيها سيارة " سو " ونذهب بها إلى الميدان الرئيسي لنبتاع شرائح البصل المطلية بالدهن.

ذات يوم من أيام عام ١٩٨٤ اتصلت بي " سو " عبر الهاتف وقالت :

- لن أستطيع أن أكون صديقة لك بعد الآن ....

ثم أغلقت خط الهاتف. هل توقعت أن يكون هذا الحديث هو مجرد مزحة ؟ بالضبع لا. لقد كان صوت " سو " مختلفاً وغريباً ما جعلني أستشعر في داخلي صدق ما تقول. إن لدي صديقات أخريات بالطبع، واستطعت أن أملأ الفراغ الكبير الذي تركته "سو " في حياتي. ولكي مازالت حتى الآن أشتاق إليها حتى بعد أن قابلت " جاك " الذي أصبح أعز صديق لي في حياتي .

الضرورة الهشة

كان رحيل " سو " المفاجئ والغامض من حياتي عبارة عن صفعة قوية، بل كان محطماً لي إلى درجة أنني كنت أقول لنفسي كثيراً بأنني لن أثق فيها حتى

ولو جاءتني وتزحف على يديها ورجليها.

لكن طريقة ١٠ ــ١٠ ــ ١٠ غيرت تلك الفكرة. فبمرور الوقت، منحتني القوة لأفتح قلبي " لسو " مرة أخرى، كما أدت بنا إلى أن نفهم لماذا كان يجب علينا أن ننفصل فعلاً. إن طريقة ١٠- ١٠- ١٠ يمكن أن تنقذ كل أنواع الصداقة. فيمكن أن توفر لكل طرف أو لكليهما معاً إطاراً لوضع العلاقة المتوترة في الموضع الصحيح، ثم لرسم خارطة طريق لإنقاذها.

إن طريقة ١٠ ــ١٠ ــ١٠ تسمح لك أن تقرر نوع الصداقات التي تحتاج إليها، وأي نوع من الأصدقاء يمكن أن تكون أنت، وذلك ولأن الصداقة تتنوع، أليس كذلك، إن لدينا أصدقاء أعزاء إلى قلوبنا لأن جميع الطرق التي تسلكها لابد أن تثمر في النهاية، وتلك الثمرة هي الصداقة.

" تانيا نتا باليس " لا تزال تقص لي شعري حتى الآن وللأبد. ليس بيننا شئ مشترك فعلاً وخاصة بشأن الخلفية الثقافية والاهتمامات وأسلوب الحياة، ولكن بيننا بعض المواقف التاريخية المشتركة حتى منذ أول موعد غرامي وحتى الطلاق. إن هناك أصدقاء نسميهم" أصدقاء الذكرى"وهم أولئك الذين شاركونا فترات بسيطة من الماضي. ولكن افضل الصدقات هي التي تضم عناصر عديدة لا ترتكز على الذكرى فقط. إن الصداقة الحقيقية والأصدقاء الحقيقيين يجعلوننا نشعر بالمتعة والعلاقة الحميمة. إنهم لا يعلمون مسئولية الزواج، ولا ضغوط الأسرة الكبيرة، وليس لديهم الاستعداد لتربية أبناء لهم.

رغم ذلك فثمة صداقات هشة. إننا نحب أصدقاءنا ونحتاج إليهم. ونحن نلجأ إليهم طلبًا للمواساة أثناء الأزمات، كما نعول كثيرًا على نصائحهم الأصلية. ومع ذلك

فأحياناً ما يلتزمون المقعد الخلفي من علاقاتنا الأخرى في الحياة. فنحن لا تربطنا بهم رابطة الدم مثل الأقارب، ولا تربطنا بهم روابط شرعية أو قانونية أو خلفيات ثقافية مجتمعية مثل أزواجنا، وإذا ما شابت الصداقة شائبة، فإننا نبتعد ونتظاهر بأن شيئاً لم يتغير في حياتنا. ويمكن أن نبقى في نفس المنزل، ونعمل في نفس الوظيفة، ونتدبر شئوننا اليومية دون صدى واضح، وبالطبع دون صدى داخل قلوبنا.

انفصال القارات

التقت"جيرمي"و" لوسيل" عندما كان يخرج من المصعد في أو يوم له في العمل بشركة للتنمية العقارية بولاية لاس فيجاس. ولأنه كان جديدًا في الوظيفة وفي المدينة، كان عبارة عن"حزمة "من الأعصاب المتوترة. وقد ضاعفت موظفة الاستقبال السمينة توتره وقلقه. قام بتقديم نفسه بأسلوب مهذب وطلب منها أن تدله على مكتبه، فقالت له :

- ألم يكن من المفترض أن تتواجد هنا بالأمس ؟

شعر"جيرمي"وكأن معدته ستخرج من فمه. لكن موظفة الاستقبال انفجرت في عاصفة كبيرة من الضحك وبادرته قائلة :

- أهلاً بك ... أهلاً بك أيها الشاب الجديد ...

أحب جيرمي لوسيل حباً جارفاً رغم ما بينها من اختلافات. في سن الثانية والثلاثين كان " جيرمي " قد قضي معظم حياته في فورت لودردال حيث كان يعيش مع والديه. بعد سن الرابعة والأربعين، كانت " لوسيل" توصف من كل فرد داخل العائلة الكبيرة المقيمة في بروكلين بأنها " عانس ". لكن أحب كل منهما

الآخر حسب سياسة " البيت الأبيض " إذ كانا كل يوم يتحدثان عن أخبار واشنطون. كان جبهما واضحاً للعيان إلى درجة أن زملاءهم كان يساورهم الشك فيما كانا عاشقين رومانسيين. وتلك كانت إشاعة انتشرت داخل المكتب خاصة بعدا أن قدم " جبرمي " لزملائه " وان " كشريك حياته.

ازداد ارتباط جيرمي بلوسييل عندما ساعدها على إنهاء علاقتها التي استمرت لفترة طويلة برجل متزوج. شرع " جيري " بعد ذلك في قضاء إجازمه الأسبوعية مع كل من لوسييل ودان. ولكن بالرغم من رفضها لجيرمي، كانت لوسييل تكافح في لوس أنجلوس. إنها تفتقد لأسرتها التي تقطن في الشرق، كما أنها تشعر بأن وظيفتها تافهة. ولأنها كانت تعمل ضمن فريق الدعم بالشركة، بأنها تعلم تمامًا أن اقتصاد المدينة إذا انخفض قليًلا فستكون من أوائل العاملين الذين سيتم الاستغناء عنهم. ثم إن ثمة سؤلاً آخر لا يزال يعن لها ؛ رغم أنها تقضي كل وقتها تقريبًا مع " جيرمي"، هل ستنأى بنفها عن " مشهد " المواعدة ؟.

قالت لي " لوسييل " وهي تتذكر ما مضى :

- شعرت وكأنني تلقيت ضربة بالسوط٠٠٠ فمن الواضح أنني لن أنجب أطفالاً٠٠٠ لكن لازلت أمتلك الفرصة للزواج٠٠ لكن ٠٠ لكي أتزوج٠٠ فلابد لي من أن أنتقل وابتعد عن صديق أشعر بسعادة لم أشعر بها من قبل٠٠٠

بعد بضع سنوات من السعادة، قررت " لوسييل " أن تقبل وظيفة براتب أعلى وبجوار وطنها في هارتفيلد بولاية كونيكتكت. أقام لها " جيرمي" و" دان" حفل وداع رائع، وأجهشت " لوسييل" بالبكاء عندما بدأ " جيرمي" في رفع نخب "الوداع" إلى شقيقته قائلاً لها :

- أصدقاء الآن ..و إلى الأبد..

مر ستة أشهر، وفي عيد الميلاد كانت " لوسييل" تصلي هي وأسرتها في إحدى الكنائس في بروكلين. وجدت " لوسييل " نفسها تصلي من أجل أن تسمع صوت " جيرمي" مرة أخرى. وعندما عادت إلى المنزل، ذهبت إلى حجرة نومها القديمة وقد قررت أن تقوم بتحليل علاقتنا " بجيرمي" باستخدام طريقة ١٠ – ١٠ – ١٠ وقد وضعت السؤال الجوهري : هل يمكن أن تكرس نفسها لحياتها الجديدة وأن تحتفظ بصداقة جيرمي في نفس الوقت ؟.

في إطار الدقائق العشر، من المؤكد أن الاتصال " بجيرمي" بعد عملاً أخرق. ويمكن أن تشرح له الموقف بعد ذلك وتعتذر له. ولكن هلا سيقبل اعتذارها ؟ كما أن الحديث معه يمكن أن يفتح عليها أبوابًا من العواطف والحنين قد تفسد عليها تكيفها مع الحياة الجديدة. فهل تستطيع أن تتحمل مثل تلك المخاطرة؟

حاولت " لوسييل " بعد ذلك أن تتخيل حياتها خلال عشرة شهور. متأكدة من أنها ستستقر في وظيفتها الجديدة. فمن طبيعتها أن تبحث عن السعادة، فالإحساس بلوم الذات يسبب لها الضيق. ألم يعد إذًا " لجيرمي" مكان في حياتها المستقبلية؟

في النهاية، فكرت " لوسييل" في عواقب قرارها على مدى السنوات العشر القادمة، خاصة في ضوء قيمها الجديدة. لقد كانت تضع الأسرة و الأصدقاء في المقدمة دائمًا. فهي تفخر بهم جميعًا، كما أنهم يحققون لها السعادة وخاصة " جيرمي" الذي كان يعتبر أفضلهم. لماذا إذاً تفكر في استبعاده ؟

في منتصف إحدى ليالي نيويورك، وكان لا يزال الوقت مبكراً فيمكن أن يسمح بالاتصال بلاس فيجاس،تناولت " لوسيل " سماعة التليفون وطلبت رقم " جيرمي

". قالت لي :

ـ ظللنا نهتف ونصرخ لمدة نصف الساعة تقريباً ... كنا نشعر وكأن الأيام الخوالي تسرى من جديد ... وشعرنا بأنها كانت " ألذ " أيام عمرنا ...

مر على ذلك عامان كاملان ، والآن غالباً ما يتصل " جيرى " و" الوسيبل " ببعضهما البعض عن طريق البريد الإلكتروني ويتصلان من خلال التليفون في المناسبات والعطلات وأعياد الميلاد. لقد تغيرت صداقتها. وأصبحت ترتكز على الذكريات الجميلة.

انجراف القيم

واجهت علاقة " جيرمي و" لوسيبل " حجر عثرة لأنهما قد افترقا، وتلك ظاهرة شائعة وسط هذا العالم المتغير. ولذا ، فكثيراً ما تواجه علاقات الصداقة عراقيل كثيرة وذلك بسبب " انفصال القيم ". بالمعقدات والهداف والأولويات التي أدت إلى لم شمل فردين من الناس يوماً ما لم تعد تواكب الوقت الراهن، بل ربما تصبح نشازاً.

ظلت علاقة " إيزابيل " و "سارة " كزميلتين في السكن بغير مونت لمدة أربع سنوات وطيدة ومتشابكة إلى درجة لا يمكن أن تنفصم عراها مهما تدخل عديد من الناس. فكانتا تتقاسمان الملابس، تأكلان على نفس المائدة بغرفة الطعام،وكانوا يشبهان بعضهم البعض ولهما شعر بنفس الطول، كما كانتا تحضران نفس الحفلات. كان الفارق الوحيد بينهما فعلاً هو الدراسة، فكانت " إيزابيل تدرس فن الاستوديو، وكانت " سارة " تدرس الرياضيات.

بعد التخرج، انتقلتا إلى نيويورك حيث عملت" إيزابيل"في الفن التصويري بالإضافة إلى عملها الإضافي كنادلة حتى تتمكن من دفع فواتير إيجار شقة صغيرة استأجرتها لتعيش فيها مع صديقها الذي كان يعمل ضابط إيقاع. أما "سارة" فقد عملت مؤخرًا محللة اقتصادية للأسهم في بورصة وول ستريت وتزوجت من أحد التجار. رغم ذلك، كانتا تتقابلان مرة أو مرتين كل شهر لتناول العشاء والشراب.

بعد بضع سنين شرعت " إيزابيل" في إيجاد طرق لتغيير ذلك الوضع. كانت المشكلة تتمثل في "بيرترام" زوج "سارة" الذي كانت تعتبره "إيزابيل" يتحدث تحت تأثير نزوة السيطرة المتعجرفة، كما كان ما يثير ضيقها أن ترى "سارة" متأثرة بآراء زوجها السياسية والاجتماعية المحافظة.

في المرة الثالثة التي اتصلت فيها " سارة " للاتفاق على تناول العشاء، انتظرت " إيزابيل " حتى عرفت بأن " سارة " كانت في المكتب وتركت لها رسالة مفادها أنها غير موجودة. عندما أغلقت خط التليفون شعرت بأنها " كاذبة وبغيضة".

كانت " إيزابيل " قد سمعت عن طريقة ١٠ ــ ١٠ ــ ١٠ حيث كنت قد أخبرتها عنها، فقررت أن تطبقها على مشكلتها، وقامت بصياغة سؤالها كما يلي : " هل يجب أن أسعى إلى الاحتفاظ بصداقتي مع سارة أم يجب على أن انهيها ؟ "

لكن " إيزابيل " واجهت طريقًا منذ البداية. فإذا كانت لا تشارك " سارة" أية قيمة من القيم، فهل من الممكن أن تواجد علاقة حقيقية وأصيلة بينهما على أي مستوى من الأطر الثلاثة لطريقة ١٠ ــ ١٠ ــ ١٠ قالت لي " إيزابيل " :

- إن بيننا رغبة مشتركة في أن نظل أصدقاء مدى الحياة٠٠ وهو أمر بعد وسام شرف لكلينا .. ولكن هل يعد هذا كافياً ؟

لكي تتبين إجابة هذا السؤال، دعت إيزابيل صديقتها " سارة " للعشاء خارج المنزل، ولكن تحضران هما فقط دون وجود أي فرد آخر. على مائدة العشاء، كان الحوار بينما يدور في فلك طريقة ١٠ ــ ١٠ ــ ١٠، رغم ذلك كان مؤلماً لها. على مستوي المستقبل القريب، يبدو أن هناك فجوات كبيرة بينما في القيم. اعترفت " إيزابيل " بأنها تكره " بيرترام ". كما اعترفت " سارة " لها بأنها تري أن صديق " إيزابيل " متسكع.

انتهي العشاء وكان واضحاً أنه لم يعد ثمة سبب أو مبرر لوجودهما معاً على مائدة العشاء ولكن لم نزال ثمة عملية يجب أن تنتهيا منها. لذلك انتقلا للخطوة التالية وهي بشأن صورة الشهور العشرة. اعترفت " إيزابيل " بأنها كذبت على " سارة " في رسالتها التليفونية. فردت عليها " سارة " قائلة :

ـ وهل اعتقدت أنني لم أعرف ؟

ولكن " سارة " ذكرت " إيزابيل " بأن ثمة لقاء لرابطة خريجي الكلية سينعقد قريباً، ولذلك سألتها قائلة :

ـ هل سنتجاهل بعضنا البعض هناك ؟ ... مثل أي صديقتين قديمين انتهت صداقتها ؟ أعتقد أننا أقوي من ذلك ... وفي النهاية قالت " إيزابيل " :

ـ لنكن جميعاً واقعيين ... في إطار السنوات العشر ستعيشين في نفس الضاحية .. وستقودين سيارتك ماركة BMW ... وسوف أظل أنا أعيش في أستوريا ..

كانت " سارة " قومئ برأسها فقط. كانت هي و " بيرترام " يبحثان فعلاً عن منزل في وتيشتر كاونتي. واصلت " إيزابيل " حديثها قائلة :

ـ ما رأيك في هذا ؟ .. لنبق كما نحن لسنتين قادمتين لذي ماذا سيحدث ؟ إنني أحبك .. إنني أحب كل شيء بيننا .. وربما تكون صداقتنا ـ رغم الخلافات التي تظهر بيننا ـ مصدر فخر لنا ...

أعطت تلك الفكرة الأمل " لسارة ". فهي تعلم أن علاقتهما في المستقبل ستكون غير واضحة الملامح، ولكنها مفيدة لها على أية حال على المستوى المتوسط والغريب. وفي نهاية المساء، اتخذا قراراً بأن تتواصل صداقتها ولكنهما يعترفان بأن أفكارهما لم تعد متناغمة، كما اتفقا على أن يريا بعضهما البعض مرة كل عام أو ما إلى ذلك بهدف إنعاش رباط المودة بينهما.

منذ اتخاذ هذا القرار، شعرته كلنا هما بالراحة التامة، فلن يعودا إلى التعرف خلسة وسيراً على أصابع الأقدام. لقد أصبح الجو حولهما نقياً

جسر بعيد جداً

يمكن ألا يتم إنقاذ صداقة ما حتى ولو وضعت شروط لذلك. إنني أعرف سيدتين قطعا علاقتهما بعد صداقة دامت لأكثر من ثلاثين عاماً لأن ابنتهما تورطا في نزاع قانوني.

رغم ذلك، فغالباً ما تنتهي الصداقة لأن بقاءها قد يسبب ضرراً لكلي الصديقين في مثل تلك المواقف الحرجة، يمكن لطريقة ١٠ ـ ١٠ ـ ١٠ أن تساعد إيضاح بدرات للتربية الأسرية مثلاً، أو لتخفيف الشعور بالذنب، كما تعمل على إشباع الحاجة إلى التقارب.

التقيت و" أنجيلا " التي تعمل أخصائية اجتماعية في بالتيمور لأول مرة لأنني قد

علمت أن لها قصة طويلة مع طريقة ١٠ – ١٠ – ١٠ في شراء منزل جديد. في الواقع قصت على " أنجيلا " قصة ١٠ – ١٠ – ١٠ مع شراء المنزل. عندما فشل اثنان من سماسرة العقارات في إيجار منزل لها، أخبرها أقاربها بأنها في حاجة إلى أن تشتري منزل لفترة وجيزة ثم تقوم بتغييره، لكنها أصرت على شراء منزل تعيش فيه مدي الحياة لقد قالت لي :

ـ أتعرفين ... إن العديد من النساء ينتظرن فارس الأحلام ليظهر وسط شن العبير ... أما أنا فقد أردت إلى أن أعتني بنس ... كان حلمي هو أن أتخذ القرارات التي تخص حياتي بنفس ...

إن أول ما استنتجته من حديث " أنجيلا " أنها لم تكن تستخدم طريقة ١٠ – ١٠ – ١٠ لمجرد شراء منزل فقط ، بل كنت تطبقها أيضًا على الصداقة الحقيقية.

في الصف التاسع، كانت " أنجيلا " قد التقت و " ربيكا " وارتبطا بعلاقة قوية من البداية. كانت كل فتاة منهما تزن ٢٢٠ رطلاً. خلال الدراسة بالمدرسة الثانوية عاشت كل منهما عالمًا واحدًا وهما يتقاسمان كل شئ. بعد أن بلغت " أنجيلا " سن الخامسة والعشرين تدهورت صحة والدها.

كانت شقيقتها متزوجة ولم تكن قادرة على التواجد طوال الوقت، كما أن والدتها المسنة تحتاج إلى الرعاية. لم يكن خيار آخر. قامت " أنجيلا" بالحصول على إجازة لرعاية والدها. لكن وزنها كان يجعل مهمتها تزداد صعوبة. كانت من الناحية الجسمانية غير قادرة على إطعام والدها بيديها أو أن تصطحبه إلى الطبيب أو أن تساعده على أن يخلد للنوم.

ذات صباح، وكان ذلك في عيد الغطاس، قالت في نفسها :" لابد أن الناس يحتاجون

إلى هنا ". لقد حان الوقت لتعمل على خفض وزنها. اتصلت " بربيكا " على الفور وقالت لها :

- سوف أعمل على تخفيض وزني.. هذه المرة ستؤخذ مآخذ الجد.. هل ستكونين معها؟..

وافقت " ربيكا" على الفور، وفي مساء ذلك اليوم، ذهبت كلتاهما إلى مركز لتخسيس. لكن اكتشف الجميع أن قلب "ربيكا" ليس سليمًا. وبينما كان وزن " أنجيلا" ينخفض، كلما ازداد حنق وغضب " ربيكا"، ودائمًا ما كانت تقول لها :

- لن أعرف بعد ذلك...

كانت " أنجيلا" كاثوليكية ولكنها قررت أن تستمتع بالبوذية، و في نهاية الأمر انضمت إلى أحد المعابد بالمدينة المجاورة. ولأجل الحفاظ على الصداقة، كانت تقضي معظم أوقاتها بصحبة " ربيكا ". ولكن بدأت الأمور بينهما تسود حيث اختلف أسلوبها في الملبس إذ أصبح وزن " أنجيلا" ١٦٠ رطلًا، كما كان الحوار بينهما يتسم بالصعوبة. بعد ذلك أصبح وزنها ١٥٠ رطلًا خاصة بعد أن اشتركت في ماراتون للعدو. ومع تلك الرشاقة الجديدة تمكنت من مساعدة والدها الذي تحسنت صحته أيضًا. وكانت قد طلبت ترقية بسيطة في محلها. ولحسن حظها نالت الترقية على الفور.

أخفت " أنجيلا" خبر ترقيتها عن " ربيكا " لبضعة أسابيع لأنها كانت تتوقع رد فعل سلبي من جانب " ربيكا". ولكن حتى بدون ترقية- بدأ اقتصاد " ربيكا" لصديقتها يتزايد. وذات يوم توقفت المكالمات التليفونية تمامًا. قد قالت لي "أنجيلا":

- أعلم أن ريبكا تسعى إلى الضغط علي...

كان ذلك هو القرار الذي لطالما كانت تخشاه " أنجيلا" في المستقبل القريب، سيكون قطع العلاقة بينهما سلاحاً ذا حديث. إن ذهاب صديقتها لابد وانه أمر حتمي ، ومع ذلك فإنها صدفة حقيقية ووفية ، ولسوف تفتقد جوانب كثيرة جميلة لدى " ربيكا ". وفي إطار الشهور العشرة ، لم تكن الصورة أكثر تفاؤلاً . " فانجيلا " تشك في قدرتها على تكوين صداقات جديدة ، فلا تزال ترى نفسها " الفتاة السمينة "، وبدون صحبة " ربيكا " سوف تشعر بالوحدة لعدة شهور أو ربما حتى لعدة سنوات .

لكن المستقبل البعيد هو الذي أثار خيال " أنجيلا " بالفعل لقد اعترفت بذلك "أنجيلا" لي قائلة :

- عندما فكرت في إطار السنوات العشر ... ورأيت الحياة التي عملت بكل جهدي لكي أوفرها لذاتي .. لم يكن " لربيكا " دخل بها .. إن قل فيها تختلف تماماً عن قيمي الخاصة .. لقد تغيرت ...

مساء اليوم التالي، كانت " أنجيلا " تجلس في مطبخ " ربيكا " كالعادة، طلبت "أنجيلا " من صديقتها ألا يتقابلا بعد هذه المرة . استشاطت " ربيكا " غضباً وقالت لها :

- دائماً ما تجعليني أكرهك ...

لم تكن " ربيكا " ترغب في قطع علاقة صداقتها الطويلة، ولكن " أنجيلا " تركت المكان وذهبت. وركزت " أنجيلا " جهدها بعد ذلك في محاولة شراء منزل جديد

حتى وفقت في ذلك . قالت لي " أنجيلا " مؤخراً :

ـ لا يزال التفكير في " ربيكا " يسبب لي الخزن والأسى .. لكن حياتي تسير قدماً..

الانطلاق

حاولت أنا كذلك أن أسير قدماً عندما انتهت صداقتي و"سو جاكوبسون " . ولكن بدلاً من أن أشعر بالقوة والحكمة، شعرت بالارتباك. وفي أحد أيام صيف عام ٢٠٠٢ تلقيت رسالة تعرفت خلالها على خط يد صديقتي القديمة المدون على المظروف، وعلى الفور قمت بفتحها . تقول الرسالة :

ـ عزيزتي سوزي ... لا أعرف ما إذا كنت لا تزالين تذكرينني .. لكن إن كان ذلك صحيحاً ... أود أن أعرب لك عن شديد أسفي ... من فضلك ... دعيني أشرح لك...

وفي نهاية الرسالة كان هناك عنوان لبريد إلكتروني. هرولت نحو الكمبيوتر. حاولت أن أتماسك وألا أبدو ضعيفة ، ثم كتبت على الكمبيوتر :

ـ حسناً ... حسناً ... حسناً ... يالها من مفاجأة ..

كان رد " سو " على رسالتي واضحاً ومباشراً. لقد أخبرتني بأنها تزوجت " مايكل " الطبيب الجراح المقيم، وأنهما أنجبا طفلين. وبمجرد الزمن ، كانت تشاهد ما أقوم به من خلال وسائل الإعلام ،وغالباً ما كانت تقرأ مقالاتي في جريدة هارفارد. وبعد خمس دقائق كنا سوياً نتحدث عبر الهاتف. بدأت " سو " الحديث قائلة :

ـ سوف أقص عليك ما حدث ... لكن عديني بالا تكني الكراهية لما يكل ...

لم أستطع أن أتخيل ما سترويه لي أو ما سنتحدث عنه. عندما كنت أعرف " مايكل " نوعاً ما، كان شاباً عاقلاً ومتزناً . فأردفت قائلة :

ـ لأن مايكل رجل عظيم ...وزوج رائع .. ولا أرغب في أن تكون كارهة له ..

فقلت لها :

ـ حسناً ... أعدك بذلك ...

فاستطردت قائلة :

ـ عندما كنا نلتقي .. كانت علاقتنا تسبب له الرهبة .ز لقد كنت أرمي نفس في أي موقف طالما طلبت أنت ذلك مني .. وكنا نقص معظم أوقاتنا سوياً ...

ولكني قاطعتها قائلة :

ـ صداقتنا كانت تسبب له الرهبة !!.

فقالت :

ـ اسمعيني يا " سوزي " ... لقد خبرني ... إما أن أختارك أنت .. وإما هو ... ولذلك فقد قمت باختياره هو ..

ظلت لا أحرك ساكناً لفترة طويلة ، ثم سألتني " سو ".

ـ هل ستغلقين خط التليفون ؟ ..

فصرخت في وجهها قائلة :

- لا ...

لم أكن غاضبة أبداً، بل كنت أشعر بالارتياح. لذا طلبت من " سو " أن تسمع لي موقت كاف حتى أفكر في طلبها لاستعادة صداقتنا ووافقت. خلال بضعة أيام بعد ذلك الحدث، ظلت أفكر في " سو " باستمرار ودون انقطاع. كان إحساس الباطن يدور جولي ويلازمني في كل مكان. لقد أحببتها كثيراً. ولكن كان لابد لي من أن ألجا إلى طريقة ١٠ ــ١٠ ــ ١٠ حتى أستطيع الخروج من تلك الدائرة.

في عشر دقائق يمكن أن نغوص في ما فاتنا، يمكن أن يلتئم الجرح، ولكن لا بد لنا من أن نتعلم كيف نثق في بعضنا البعض. هل نسيت أن أذكر انه أثناء المكالمة التليفونية قالت لي " سو " : لماذا لم تحاولي أن تتصلي بي ؟ لقد كان سؤالاً مشروعاً . فربما لم تكن صداقتنا قد انتهت فعلاً.

في الشهور العشرة، ربما تختص كل السلبيات. وربما نجد أساساً مشتركاً للمرة الثانية. وفي إطار عشر سنوات، ستكون في منتصف الخمسينيات من العمر. وسيكبر أطفالنا، وسيكون لدينا الوقت الكافي للتنزه بسيارتي " الجيب " الحمراء. لن اخسر شيئاً جراء إعادة علاقتي " بسو ". ولقد تمت المصالحة بسرعة فائقة. قمنا بترتيب زيارة ثم زيارة أخرى ثم ثالثة. وكم ضحكنا كثيراً بأوقات سعيدة، كما اتضح لنا أننا لا نزال نشترك في الآراء. ومع ذلك، فقد هناك رباط جديد بيننا. إن كلينا تمتع بزواج سعيد وأطفال في حاجة لنا.

لقد استمتعنا بحياتنا كثيراً. ففي الشتاء الماضي، أخذنا أبناءنا " الستة " معنا وذهبنا للسوق في عيد الميلاد، وأتذكر أنني قدت " الحاشية " كلها ودخلنا محلاً لبيع الملابس. لكن قالت لي " سو " :

- أوه ... لا ... لا تفعلي ذلك ... ليس للمرة الثانية .. لا تجديني على أن افعل ذلك ... فرجوتها قائلة :

- تعالي ياسو ... جرب قياس هذا فقط ...

انتقت لها مجموعة كبيرة من الفساتين. ولكنها اختطفتها من يدي لتعلقها مرة أخرى وهي تقول :

- توقفي عن هذا ... ما هي مشكلتك الغريبة ؟..

ألقيت نظرة طويلة على حذاء " سو " اللطيف، ثم نظرت إليها نظرة كانت تعرفها جيداً وقلت لها :

- ما هي مشكلتك الغريبة ؟...

إما بمفردي وإما سوياً

آه من الصداقة. إنها الضرورة التطوعية العظيمة والهشة في حياتنا. لقد كان " رالف والدو إميرسون " على حق. إن الصديق الوفي هو " هبة الطبيعة النفيسة "، فالصديق نادر الوجود وعزيز على النفس. ولقد كان مؤلف الغاني " بيل ويذرز " على حق أيضاً. إننا جميع نحتاج إلى من نستند إليه ونعول عليه.

من المؤكد أن هناك بعض الصداقات التي تصل إلى نهاية مثل صداقة " أنجيلا" و " ربيكا " وهناك صداقات أخرى تستمر لعدة عقود مثل صداقة "جاك"وزملائه في المدرسة. لكن في معظم الأحوال هناك صداقات لها معنى وقد تستمر إلى ما لا نهاية. وفي نهاية الأمر علينا أن نقرر ما إذا كنا سنسير قدمًا بمفردنا أم مع آخرين.

عند نقاط التحول تبدأ طريقة ١٠- ١٠- ١٠ عملها بمساعدتنا على أن نرى ونفهم كيف يمكن لديناميات الصداقة أن تتحول وتتغير، والأهم من ذلك هو أن نفهم ما إذا كان يمكن أن نتغلب على تلك التحولات. بمجرد أن أنتهي من الكتابة، سأتصل"بسو"على الفور. إن لدي سؤالاً أرغب في أن أطرحه عليها. وأعلم أن لديها نفس السؤال الذي ترغب في طرحه على أيضًا.

obeikandl.com